وضوح المنهج السلفي وأثره في أنتشار الدعوة إلى اللّه

لفضيلة الشيخ

محمد بن رمزان الهاجري

حفظه اللّه تعالى

مقدمة الناشر

الحَمْدُ لله ربِّ العَالَمين، إِلَه الأَوَّلِينَ والآخِرينَ، وقَيُّومِ السَّمَاوَات والأَرَضينَ، الَّذِي لا عِزَّ إِلَّا في طَاعَتِهِ، ولا غِنًىٰ إِلَّا في الافْتقَار إِلَيْه، وَالصَّلاةُ والسَّلامُ الأَكْمَلَان الأَتَمَّان علىٰ رَسُولنا مُحَمَّدٍ الأَمين، المَبْعوث رَحْمَةً للعَالَمِينَ، سَيِّد الأَوَّلينَ والآخِرينَ، وإِمَام الأَنْبياءِ وَالمُرسَلين؛ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيه وعَلَىٰ آلِهِ وأَصْحابِهِ والتَّابعين لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلىٰ يَوْم الدِّين.

وبَعْد:

فَبَيْنَ يَدَيك -عَزيزي القَارئ- مُحَاضرةٌ قَيِّمةٌ لفَضيلَة الشَّيخ مُحمَّد بن رَمْزان الهَاجري حَفِظَهُ الله، والَّتي بَيَّنَ فيها بجَلَاءٍ أَنَّ دَعْوةَ النَّبيِّ ﷺ كَانَتْ أَوْضَح من الشَّمس في رَائعَة النَّهار، ثمَّ تَعرَّض لِسَبَب هَلَاك الهَالِكِينَ، وفَصَّل مُميِّزات الوُضُوح في المَنْهج، وذَكَر نَمَاذجَ من وُضُوح مَنْهج النَّبيِّ ﷺ

وأَصْحَابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وتَعرَّض لأَهميَّة السَّلامة في الثَّبات عَلَىٰ مِنْهاجِ النُّبوَّة الوَاضح.

وفِي خِتَامِ هذِهِ المُحَاضَرة كلمةٌ طَيِّبةٌ مُهمَّةٌ لفضيلة الشَّيخ صَالح بن سَعْد السحيمي حفظه الله.

ونَظرًا لأَهميَّة هذِهِ المُحَاضرة لتَفْصيلها وتَناوُلِهَا لهَذَا المَوْضوع المُهمِّ الَّذي يَغيب أَحْيانًا عَنْ بَعْض المُسْلِمِينَ- قُمْنا في دَار «المِنْهَاج» بإِعْدَادِها للنَّشر في هذِهِ الرِّسَالة بَعْد أَنْ عَرَضْناها عَلَىٰ فَضيلَة الشَّيخ مُحمَّد بن رَمْزان الهاجري حَفِظَهُ الله؛ لمُرَاجَعتها، وإِبْدَاء الرَّأي فِيهَا، مِنْ حَيْث تَصْويب الخَطَإِ، وإِكْمَال النَّقْص، ونَحْو ذَلِكَ، وذَلِكَ وَفْقَ الخُطُواتِ العِلْميَّة المَنْهجيَّة التَّالية:

١- تَفْريغ المُحَاضَرة، ومُرَاجَعتها مُراجَعةً لُغويَّةً دقيقةً.

٢- إِعَادَة صِيَاغَةِ بَعْض الجُمَل والفَقَرات، وحَذْف بَعْض الكَلمَات المُكرَّرة، ونَحْو ذلك؛ مُرَاعاةً لتَحْويل المُحَاضرات المَسْموعة إلىٰ كتابٍ مقروءٍ.

٣- إثباتُ الآياتِ القرآنيَّة بالرَّسْم العثمانيِّ، وعَزْوها إلىٰ مَوَاضعها في المُصْحَف الشَّريف.

٤- تَخْريجُ الأَحَاديث بمَنْهجٍ مُوحَّدٍ، وإِثْبَات الأَحَاديث الَّتي أَشَار فَضيلَة الشَّيخ إلىٰ مَعْناها بأَلْفَاظها، وذَلكَ في الحَاشِيَةِ.

٥- شَرْح بَعْض الكَلِمَاتِ الغَريبَةِ.

٥- وَضْع عُنْواناتٍ لمُحْتوياتِ الرِّسالة، وعَمل فِهْرسٍ لها؛ لِيَسْهلَ عَلَىٰ القارئ الوُصُولُ إلىٰ بُغْيته بِيُسرٍ.

والله مِنْ وَرَاء القَصْد، وهُوَ المُوفِّق والهَادِي إلىٰ سَوَاء السَّبيل.

وَصلَّى اللهُ على نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعَلَى آلِهِ وصحبِهِ أَجْمَعِينَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ لله، نحمدُهُ ونستعينُهُ ونستغفرُهُ، ونَعُوذُ بالله من شُرُور أَنْفسنا ومِنْ سَيِّئاتِ أَعْمالِنا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومَنْ يُضْلل فلا هَادِيَ له، وأَشْهد أَنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شَرِيكَ لَهُ، وأَشْهَد أنَّ مُحمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

أمَّا بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كلامُ الله، وخيرَ الهَدْي هَدْي مُحمَّدٍ ﷺ، وشرَّ الأُمُور مُحْدَثاتها، وكلَّ مُحْدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

بَعَث اللهُ النَّبيَّ ﷺ رَحْمةً للعَالَمين، وهَكَذا الأَنْبياء والرُّسُل أَجْمعِين، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ

﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]؛ هذِهِ هِيَ دَعْوة الأَنْبياء: وُضُوحٌ في المَقْصد، وُضُوحٌ في الهَدَف، وُضُوحٌ في الوَسِيلةِ والطَّرْح.

هذا الوُضُوح يَجْعل المُتلقِّي مُدْركًا لمُرَادِ الدَّاعي، ماذا يريد؟ ولِذَلِكَ جَمَعهم الرسول ﷺ في مَكَّة، ونَادَىٰ في بُطُون قُرَيش، فدَعَاهم، ماذا يريد؟ قال لهم كلمةً، قالوا له: لك عَشْرٌ، فقال: «**يا قوم، قُولُوا لا إله إلَّا الله تُفْلحوا**»(١)، وُضُوحٌ في أوَّل مُرْتقىٰ ارْتَقاه النَّبيُّ ﷺ، وقَدْ جَمَع قَوْمه بَعْد أَنْ قال له الحقُّ تبارك وتعالىٰ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر:٩٤].

فكَانَ كَذَلِكَ البيانُ، العقيدة، التَّوْحيد؛ فماذا كان مِنْهم في مُقَابِل ذلك الوُضُوح- كَانَ التَّمرُّد والعناد، قالوا: تبًّا لك سائرَ اليوم، أَلِهَذَا جَمعْتَنا، فقال الله في ذلك القائل: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٥/ ٤٠٤) (١٦٠٢٣) من حديث ربيعة بن عباد الديلي رضي الله عنه.

لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾﴾ [المسد:١-٣](١).

هَكَذا كَانَتْ دَعْوةُ النَّبيِّ ﷺ واضحةً، ولِذَلِكَ عَجِبُوا مِنْ هَذَا الوُضُوح؛ قال تعالىٰ: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾﴾ [ص:٤، ٥].

انْظُرُوا! يَسْتعجبون مِنْ مَاذا؟! مِنْ دَعْوة الحقِّ؛ فمَاذَا كان منهم في مُقَابل ذَلِكَ الوُضُوح؟ كانَ التَّنفيرُ والتَّحذيرُ، وتَواصَوْا علىٰ ذَلِكَ: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾ [ص:٦].

تَواصَوا في مُحَاربةِ دَعْوة الحقِّ؛ لأنَّها واضحةُ المَعَالِم، فكَانَ مِنْهم هَذَا العنادُ؛ بَلِ انْظُرُوا في مُقَابِل ذَلِكَ الوُضُوح بماذا كانوا يَعْترضون؟ يَعْترضون بالدَّعَاوىٰ البَاطِلَةِ

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وَبِالمُخَالفاتِ الصَّريحة؛ بَلِ احْتجُّوا بمِلَلِ الكُفْر؛ فإنَّ مِلَلَ الكُفْر لا تَرْضىٰ بالوُضُوح كَمَا هو شأنُ اليَهُود الَّذين أَثْنَوا علىٰ قُرَيش، ويَعْلمون أنَّهم عَلَىٰ الباطل، فمَاذَا قالت قريش؟ قالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧﴾ [ص:٧]؛ يعني: أنَّ آخر مِلَّةٍ ترىٰ التَّثليثَ وهُمُ النَّصَارىٰ، وأنت تَدْعو إلىٰ التَّوْحيد؛ أنَّ الله واحدٌ، فَاحْتجُّوا بما قَدْ حَرَّفته النَّصَارىٰ، انْظُرُوا إلىٰ ما يَتشبَّثُ به المُبْطلون؟! يَتشبَّثون بالباطل ليَصدُّوا عن الحق، والحقُّ واضحٌ، قال تعالىٰ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾ [الإسراء:٨١].

دَعْوةُ الحقِّ واضحةٌ من أوَّل طَرْحها؛ فهَذَا النَّبيُّ ﷺ يأتيه الرَّجلُ من مَجْلسٍ واحدٍ ويَنْصرف بوجهٍ غير الَّذي أتىٰ به؛ لأنه قد اتَّضحت له الدَّعوة.

فكُنْ أيُّها السُّنِّي، أيُّها السَّلفيُّ، أيُّها المُقْتدي بأثر النَّبيِّ ﷺ كَذَلِكَ؛ لأنَّ الوُضُوحَ يَخْتصر الطَّريقَ، فتُصْبح تلك الدَّعْوةُ واضحةً لِذَلِكَ المَدعوِّ، فيَتغيَّر مَنْ يأتي مجلس المصطفىٰ ﷺ

مِنْ أَوَّل مجلسٍ يَجْلسه معه ﷺ، وهَكَذا هُمْ أتباع الرُّسُل، دَعْوتُهم واضحةٌ جليَّةٌ.

فالوُضُوحُ من العَلَانيةِ، وهُوَ من تَمَام الضُّحَىٰ والنُّور والضِّياء، بخلاف الغَلَس، وبخلاف التَّعمية، وبِخِلَافِ التَّلوُّن، وَبِخِلَافِ الكَدر، فكلُّها تُخَالِفُ الوُضُوحَ؛ فالوَاضِحُ واضحٌ، مِنْ حَيْث ما أتيت هذا فإِذَا به هو هو.

◊◊

وضوح دعوة النَبي ﷺ

فالنَّبيُّ ﷺ دعوتُهُ واضحةٌ مع الجميعِ، هنا لَمَّا أَنْ قَدِم إلىٰ المدينة النَّبويَّة، من هذا المكان- من مَسْجد قباء، انْطلَقَتِ الدَّعوةُ بوُضُوحِها وصَفَائِها؛ فجَعَلت المُنَافِقين يَسْترون، وَلَا يُقَابِلونها إلَّا بأَنْ يُعْلنوا الإسلامَ، وقَدْ أَخْفَوا مَا أَخْفَوا، وهَكَذا عَادَة المُبْطِلين لا يُظْهرون ما يَعتقدون، وأمَّا أصحابُ الوُضُوحِ فهُمْ أصحابُ العَلَانية، فإيَّاك وأصحابَ الخَفَا!

فتَميَّزت دعوةُ النَّبيِّ ﷺ بوُضُوحها وعَلَانيتها، فعِنْدما تجد مَنْ ليس كذلك، فهذا عنوانٌ علىٰ أنَّه علىٰ خلافِ مِنْهاجِ النُّبوَّة، فالنَّبيُّ ﷺ دعوتُهُ واضحةٌ جليَّةٌ؛ في العقيدة وبيان الهدف: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾ [ص:٨٦-٨٨]؛ دعوةٌ

واضحةٌ جليَّةٌ، فجميعُ الأَنْبياءِ والرُّسُل قالوا: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [هود:٥٠]؛ هذِهِ دَعْوتُهم.

ولِذَلِكَ أَتَىٰ أَصْحابُ المَصَالح يُرِيدون أَنْ يُسَاوِموا النَّبيَّ ﷺ علىٰ ما يُقَال بلُغَة العصر: بَعْض الأَهْداف المُشْتركة؛ وهي قاعدةُ التَّعَاون والإِعْذَار، يَعْذر بَعْضُنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، ونعمل معًا فيما اتفقنا فيه، فنتَّفق علىٰ أشياء، ونتنازل عن أشياء، فمَاذَا عَرَضوا علىٰ النَّبيِّ ﷺ؟

عَرَضوا عليه المُلْكَ، فقَالُوا: لا نَقْطع أمرًا دُونَك.

ثمَّ عَرَضُوا عَرْضًا آخر، وهو المالُ، فقَالُوا: نَجْمعُ لك الأموالَ حتَّىٰ تَصِير مِنْ أَغْنانا.

ثمَّ عَرَضوا عرضًا أخيرًا، فقالوا: نُزوِّجك أَجْملَ النِّساءِ[(١)].

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٣/ ٣٤٩) (١٨١٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٣٣٠) (٣٦٥٦٠)، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «اجتمعت قريشٌ للنبي ﷺ يومًا، فقالوا: انظروا أَعْلَمكم بالسِّحر والكَهَانة، والشِّعر، فليأتِ هذا الرجلَ الذي قد فَرَّق جَمَاعتنا، وشَتَّت أَمْرَنا، وعَابَ =

=

دِيننا، فَلْيُكلمه، ولينظر ما يَرُد عليه، قالوا: ما نَعلم أحدًا غير عُتبة بن ربيعة، قالوا: أنتَ يا أبا الوليد، فَأَتَاه عُتبة، فقال: يا محمد، أنت خيرٌ أم عبد الله، فَسَكَتَ رسولُ الله، ثم قال: أَنْتَ خيرٌ أم عبد المطلب، فَسَكَتَ رسولُ الله ﷺ، قال: فإنْ كُنت تَزعم أنَّ هؤلاء خيرٌ منك، فقد عَبَدوا الآلهةَ التي عِبْتَ، وإن كنت تزعمُ أنَّك خيرٌ منهم، فتكلَّم حتىٰ نَسْمَع قولَك، إنَّا والله ما رأينا سَخْلَة قَطُّ أشأم علىٰ قومك منك، فَرَّقت جَمَاعتنا، وشَتَّت أَمْرَنا، وعِبْتَ ديننا، فَفَضَحْتنا في العرب، حتَّىٰ لقد طَار فيهم أنَّ في قريش سَاحرًا، وأنَّ في قريش كاهنًا، والله ما ننتظر إلَّا مثل صيحة الحُبْلىٰ بأن يقوم بعضُنا إلىٰ بعض بالسيوف حتىٰ نَتَفَانىٰ. أيُّها الرَّجل، إن كان إنَّما بك الحاجة جَمَعنا حتىٰ تكون أغنىٰ قريش رجلًا، وإن كان إنَّما بك الباءةُ فَاخْتَر أيَّ نساء قريش شِئْتَ؛ فنُزوِّجك عَشْرًا، قال له رسول الله: «**أَفَرَغْتَ!**». قال: نعم، قال: فقال رسول الله ﷺ: «بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت:١،٢]، حتىٰ بلغ: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣﴾ [فصلت:١٣]...»، الحديث.

سبب هلاك الهالكين

ولِذَلِكَ سَقَط مَنْ سَقَط، وهَلَك مَنْ هَلَك في إِحْدىٰ هذِهِ الثَّلاث: إمَّا أنَّهم اسْتَزلَّتهم الأُمُورُ السِّياسيَّة، ومسائل الحُكْم، وشُؤون ذلك، فسَقَطوا، فلَمْ يَسْتطيعوا أَنْ يَسْتمرُّوا علىٰ ما هُمْ عليه، فنَحَوْا مَنْحىٰ آخر، فالوُضُوحُ لا يمكنُ أن يجتمعَ مع لُغَة اللَّفِّ والدَّوران، فسَقَطوا في هذا.

وأَصْحابُ المُغْريات الماليَّة تَنافَسُوا فيها، وَتَساقَطوا فيها، فأَصْبَحوا مِنْ أَهْل الحِيَل وأَهْل الأَمْوالِ الَّتي لا يَخْفاكم شأنُ الكثيرِ مِمَّنْ سَقَطوا في هَذَا.

وأمَّا فِيمَا يَتعلَّق في النِّساءِ، فَهِيَ أشدُّ علىٰ الرَّجل الحاذق مَهْما كان في حذقِهِ، فهو سَهْل السُّقُوط في هَذَا المُرْتع.

انْظُرُوا مَعْشرَ الإخوة الكرام: هذه الثَّلاثُ هِيَ قواصم الظَّهْر.

فيا طَالِبَ العِلْم، كُنْ علىٰ حذرٍ مِنْ هذِهِ الثَّلاث، وأخصُّ طالبَ العِلْمِ؛ لأنَّ الموضوعَ في وُضُوح المَنْهج وأثره في الدَّعوة إلىٰ الله، فعِنْدما يُعْرف بأَحَد هذِهِ الثَّلاث؛ فإنَّها لها أثرٌ علىٰ دعوتِهِ في النَّاس، وهَذَا ممَّا قَدْ يُعِيق الكثيرَ؛ الوُضُوح في الاستدلال.

فالنَّبيُّ ﷺ قال: «**تَرَكْتُكُمْ عَلَىٰ الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»(١)؛ هَكَذا بوضُوح كبياض النَّهَار، فمَهْما اشْتدَّت الفتنُ وأَظْلمَتْ، فإنَّ وُضُوحَ مِنْهاجِ النُّبوَّة لا يَخْتلف فيه اثنان، لماذا؟ لأنَّه طريقٌ بَيْن قائمٍ علىٰ الدَّليل الصَّحيح، «**تركتُ فِيكُم مَا إِنْ تَمسَّكتُمْ بِهِ لن تَضلُّوا: كتاب الله، وسُنَّتي**»(٢).

نعم، الكتابُ والسُّنَّة: وُضُوحٌ في الاسْتِدْلالِ، وفي المَرْجع،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧٥) (٣٣١)، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٤١).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧١) (٣١٨)، والدارقطني في «السنن» (٤/ ٢٤٥) (١٤٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٢٤٨).

وفي التَّحاكُم ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥]، هَكَذا الوُضُوحُ، والوُضُوحُ ابتلاءٌ؛ وَلِذَلِكَ هو أمرٌ شاقٌّ وصعبٌ، فيَتخلَّف منه أناسٌ كثيرٌ.

فَيَا أيُّها السُّنِّي، اثْبُتْ، فهَكَذا كان النَّبيُّ ﷺ ولَوْ في أَبْسط الأُمُور في ظنِّ بَعْض النَّاس؛ أتىٰ رجلٌ للنَّبيِّ ﷺ ليُبَايعَ، وهُوَ مِمَّنْ قَدْ أهدرَ دَمَه، فإذا به ينظرُ إِلَىٰ الرَّجل ويَنْظر إلىٰ الصَّحَابة يمنةً ويسرةً، فلمَّا كرَّر ذلك الرَّجل ثلاثًا، مدَّ له النَّبيُّ ﷺ فبَايَعه، ثمَّ الْتفَتَ إِلَىٰ الصَّحابة، فقال: لِمَ لَمْ تَقْتلوا الرَّجلَ؟! فسَكَتوا، الرَّجل أقدم للنَّبيِّ بيدِهِ ليُبايعَ وهُمْ يَعْلمون أنَّه مِمَّنْ قَدْ أهدر دمه، فقالوا: يَا رسولَ الله، هَلَّا أشرتَ لنا - يَعْني بِعَيْنك، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ**»[(١)].

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٥٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٢٣).

فهُمْ يَقُولون: يا رسولَ الله، لَوْ أشرتَ لنا بِعَيْنِكَ! أي: غَمَزتَ بعينِك، أو أشرتَ بِطَرَفِك؛ أي: إشارةٌ خَفيَّةٌ.

وهذِهِ الإشارةُ الخفيَّةُ لَيْسَتْ من مِنْهاج النُّبوَّة؛ لأن النَّبيَّ ﷺ قال: «**لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ**».

انْظُرُوا إلى أيِّ درجةِ الصَّفَاء والنَّقاء، والوُضُوح وليس التَّلوُّن؛ وإيَّاك وأصحاب التَّلوُّن! وأصحاب الرِّياح! فحَيْثما كانت الرِّياح، كان كَذَلِكَ؛ فإِنْ كَانَتْ رياحُ أَهْلِ السُّنَّة قائمةً فإنك تجد طَرْحَه طَرْحًا سُنيًّا، ويُعْجِبك في مقالِهِ، وتَسْتنكر أحيانًا بَعْضَ الأَشْياء؛ لأنَّها تَأْتي الرِّياح من جهةٍ فيها بعض الجيف وهَكَذا، فتَشْعر أنَّ في هَذَا الكلام نفس بخِلَافِ الأوَّل؛ لأنَّهم أصحابُ وُجُوهٍ، وأصحابُ تَلوُّنٍ، فإيَّاكُم والخُلوف! فالخُلوف كُثر لا يُرِيدُون مِنْهاجَ النُّبوَّة والسَّلَف الصَّالح، يُرِيدُونَ مِنْهاجَ الخَلَف، ولا يُرِيدُون أَنْ يَتَّبعوا السَّلَف.

مميزات الوضوح في المنهج

ومِمَّا يَتميَّز به الوُضُوحُ في الدَّعْوة إلى الله: أنَّها طريقٌ مختصرٌ لإيصَالِ هذِهِ الرِّسالةِ الدَّعويَّة؛ فعِنْدما يَتبيَّن لهَذَا المُجَالس، أو لهَذَا السَّامع، أو لهَذَا القَارِئ، فيَصِل إلىٰ المُرادِ بسُهُولةٍ، وبطريقٍ مُخْتصرٍ.

أيضًا هَذَا الوُضُوحُ تجدُهُ شاملاً وكاملاً في جميع مَنَاحي الحياة: وُضُوحٌ في العقيدة، وفي الطَّرْح؛ إنْ أتىٰ في الأَسْماء والصِّفات فإنه يُثبت ما أَثبته الله لنفسِهِ، ويَنْفي ما نَفَاه الله عن نفسِهِ، ويُثبتُ ما أثبتَه النَّبيُّ ﷺ، دُونَ تَشْبيهٍ، أو تمثيلٍ، أو تأويلٍ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ:١١].

وإنْ أتى في مسألةِ العِبَادةِ، فإذا به واضحٌ جليٌّ، لا يَرَىٰ

الاستغاثةَ إلَّا بالله، ولَا يُدْعىٰ إلَّا الله، ولا يُسْتشفىٰ إلَّا به، ولا يحلف إلَّا به، ولا ينذر إلَّا كذلك، هكذا واضحٌ في هَذَا الأَمْر، لا تجدُهُ من أَصْحابِ الشِّرْك والتَّلوُّن.

وإنْ أتَى إلَى مَسَائِل الاتِّبَاعِ، فإذَا به حريصٌ أشدَّ الحرص علىٰ اتِّباع النَّبيِّ ﷺ؛ لأنَّه سائرٌ في الأَمْر الشَّرعيِّ، فاللهُ -تبارك وتعالىٰ- يَقُولُ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود:١١٢].

فالأَمْرُ حَيْث ما أتىٰ واجبٌ علىٰ المُسْلم الاستجابة بالوُسْع والطَّاقة، فمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتم، وما نَهيتُكُمْ عنه فَانْتَهوا؛ هَكَذا الوُضُوحُ في اتِّباعه؛ ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف:١٠٨]؛ فهُوَ واضحٌ في دعوتِهِ، واضحٌ في مقصدِهِ.

﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾، فهُوَ يَدْعو إلىٰ الله، أي: إلىٰ تَوْحيد الله، لا إله غير الله، لا إلىٰ تنظيماتٍ، ولا إلىٰ أحزابٍ، ولا إلىٰ طوائفَ، ولا إلىٰ فرقٍ؛ إنَّما يدعو إلىٰ الله.

﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، أي: علىٰ عِلْمٍ؛ فمَنْ ليسَ عَلَىٰ بَصِيرةٍ، فَهُو عَلَىٰ ضلالٍ وجهلٍ وحيرةٍ، ماذا يَدْعو إليه؟ فرقٌ بَيْن مَنْ تَكلَّم قَبْل أن يَتعلَّم، ومَنْ تكلَّم بَعْد أن تَعلَّم، فهَذَا سيَتكلَّم بما قَدْ تعلم بالبيان والدَّليل الواضح الجليِّ، فمَنْ ليس عنده علمٌ فهو ما بَيْن قصصٍ، وما بَيْن مناماتٍ، وما بَيْن خرافاتٍ وخزعبلاتٍ، ماذا يقول للنَّاس؟!

﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾: إذًا، هَذَا هو الوُضُوحُ، فعِنْدما ترىٰ هَذَا الدَّاعي يَدْعو، ثمَّ إذا به يَخْلط أشياءَ كثيرةً؛ هذِهِ لَيْسَتْ دعوةً سُنيَّةً.

فعِنْدما يقول شخصٌ: أنَا دَعْوتي سَلفيَّةٌ، صُوفيَّةٌ، رِيَاضيَّةٌ، سِيَاسيَّةٌ! فهو بذلك يَجْمع بين المُتَناقضات.

وعندما يقولُ آخر: أنا عقيدتي سَلفيَّةٌ، وأُبَايعُ عَلَىٰ الطَّريقة الجَشْتِيَّة، أو السهروردِيَّة، أو القادريَّة، أو النَّقشبنديَّة! نقول: ما هذا؟!

ثمَّ مَنْ يَقُولُ: أنا عقيدتي سلفيَّة، ومُوَاجهتي لَيْست سَلفيَّةً،

إنَّما هي عصريَّة؛ لماذا يَهْربون من أن تكونَ دَعْوتُهم دعوةً نبويَّةً سُنيَّةً في سُلُوكِها، ومُوَاجَهتِها، وطَرْحها، وبَيانِها؟

لأنَّهم لا يَجِدُون في ذَلِكَ بُغْيتهم، لَهُمْ مَقَاصد تَخْتلف عن هذِهِ الطَّريقة، فهؤلاء طَرْحهم ليس واضحًا؛ ففرقٌ بَيْن مَنْ يقول: أَدْعو إلىٰ الله، وبين مَنْ يبدأ بغير ذلك، هكَذَا كان الوُضُوح.

وضوح منهج النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم

فمنهاج النَّبيِّ ﷺ كان واضحًا حتَّىٰ في طَرْحه مع النَّاس وفي تَعامُلِهِ، وذلك كسؤاله للجارية: «**أَيْنَ اللهُ؟**». فتقول: في السَّمَاءِ، فيقول لها: «**مَنْ أنا؟**»، فتقول: أنتَ رسولُ الله. فيقول لسَيِّدها: «**أَعْتِقْها؛ فإنَّها مُؤْمِنَةٌ**»(١)، هكذا بكل وُضُوح.

وهَكَذا كان الصَّحَابة.

ومَوَاقفُ الوُضُوحِ في دَعْوة النَّبيِّ ﷺ كثيرةٌ، فمِنْ ذلك: ما قالَه للخارجيِّ الَّذي قال له: يا مُحمَّد، اعْدِلْ! هذِهِ قسمةٌ ما أُرِيدَ بها وَجْه الله، حيث قال له: «**وَيْلك! إِنْ لَمْ أَعْدِلْ فَمَنْ يَعْدِل؟**

(١) أخرجه مسلم (٨٣٦) من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه.

ثم قال ﷺ: «**يَخْرُج مِن ضِئْضِئِ**[١] **هَذَا أقوامٌ تَحْقِرُون صَلَاتكم إِلَىٰ صَلَاتِهم، وصِيَامَكم إلىٰ صِيَامِهم**»[٢]، فالإشارة هنا إلىٰ حاضر، وهذا فيه وُضُوحٌ، أليس هَذَا حُكْمًا علىٰ شخصٍ بعينِهِ؟

انْظُرُوا مَعْشر الإِخْوة الكِرَام، التَّحْذيرُ واضحٌ، والبيانُ لا مَجَال لتفسيراتٍ أُخْرىٰ فيه، فهو سَهْل الوُصُول للمُرَادِ، بخِلَافِ بَعْض المُتلوِّنة الَّذي تَجِدُ الكَلَامَ فيه يَحْتمل خمسةَ ستة سبعة معاني، والكلُّ يَأْخُذُ بالمَعْنىٰ الَّذي يريد، كأنَّما لا يُرِيدُ أَنْ يقبضَ عليه شيء، أو أَلَّا يكونَ له موقفٌ واضحٌ؛ قال: «**يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا أقوامٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكم إِلَىٰ صَلَاتِهم، وصِيَامَكم إلىٰ صِيَامِهم**»، ثمَّ بَدَأ يذكر عباداتٍ.

---

(١) أي: من نسله وعقبه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٨٠)، ومسلم (١٧٦٥) من حديث أبي سعيد الخُدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أيُّها الإِخْوة، إِذَا أَرَدْنا أَنْ نَضْربَ المثل بالصَّلاةِ الصَّحيحةِ، والعبادةِ الخاشعةِ، وأَنْواعٍ من العباداتِ بعد النَّبيِّ ﷺ نُمثِّل بمَنْ؟ بالصَّحَابة، وهُنَا يَقُولُ: تَحْقرون هذِهِ العبادات عِنْد هؤلاء، مَنْ هُمْ؟ الخوارج، هذِهِ العباداتُ بالمُمَارسَةِ الصَّحَابة يَحْقرون أنفسهم أمام هؤلاء لشِدَّة ما يكون في هؤلاء في الظَّاهر من التَّخشُّع والخُشُوع، ومَعَ ذَلِكَ يقول النَّبيُّ ﷺ بكلِّ وُضُوحٍ: «**كِلَاب النَّار**»(١)، «**لَوْ أَدْركتُهُمْ لقَتلتُهُمْ قَتْلَ عادٍ**»(٢)، إبادةٌ لا انتقاءٌ!

نسألُ اللهَ أن يُوفِّق وُلَاة الأَمْر لأَنْ يُبِيدوا هؤلاء الخوارج.

إذًا أيُّها الإخوة: انْظُرُوا إلىٰ هَذَا الجانبِ الوَاضِحِ الجليِّ، بَعْد ذلك هل اغْترَّ الصَّحابةُ بأَفْعالِ الخَوَارج، أو بِعِبَاداتِ الخَوَارج، أو بزُهْد الخوارجِ؟

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٧٣) من حديث ابن أبي أوفىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (١٤٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إذًا العبرةُ لَيْسَتْ بالنَّحيبِ والبُكَاءِ واللَّطْمِ، وهذِهِ التَّخشُّعات، وهذِهِ الأشياء الَّتي تَظْهر في أَنْواعِ التَّعبُّدات.

إنَّما العبرةُ بماذا؟

بِصِحَّة الاعْتِقادِ واتِّباع المَنْهج النَّبويِّ، العبرةُ بهَذَا فقط، بصحَّة الاتِّباع للنَّبيِّ ﷺ في كلِّ شيءٍ، وليس في شيءٍ دُونَ شيءٍ، فرقٌ بَيْن أَنْ تخصَّ ذلك بلحظةٍ، أو بزمنٍ، أو بيومٍ، أو بليلةٍ من أَنْ تَجْعلَ اتِّباعك للنَّبيِّ ﷺ في مَأْكلك، في مَشْربك، في مَلْبسك، في سَفَرك، في إِقَامتِك، في ذَهَابِك، وفي إِيَابِك، وفي لَيْلك، وفي نَهَارك، وفي شِرَائِك، وفي بَيْعك، وفي طَرِيقَةِ تَعامُلِك، وطَرِيقَةِ لِبَاسِك، في حِذَائِكَ، في وُضُوئِك، في صَلاتِك، في زَكَاتِك، في حَجِّك، في سُلُوك جميع ما تَفْعل من صَبَاحِك إلىٰ لَيْلك، كل حياتك أَجْمع.

هَذَا هو حقيقةُ الاتِّباع، هَذَا اتِّباعُ النَّبيِّ ﷺ ولَيْس لحظةً، أو يومًا، أو ليلة؛ إنَّما هَذَا هو صِدْق الاتِّباع للنَّبيِّ ﷺ، وهي المَحبَّة الحقيقيَّة: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ

فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ [آل عمران:٣١].

وسأَسْتعرض شيئًا مِنْ هَذَا الوُضُوحُ الَّذي عَلَّمه النَّبيُّ ﷺ لصحابتِهِ عَلَىٰ عَجَلٍ؛ لأنَّ هُنَاك إضافةً لمُوجِّهنا ومُوجِّه دُعَاة المدينة، بل هو مُوجِّه كثير من طَلَبة العِلْم، والكثير يَسْتفيدُ منه، ولَيْس علىٰ مُسْتوىٰ المدينةِ والمَمْلكة، بَلْ في العَالَم، وهو شَيْخنا الشَّيخ صالح السحيمي وَفَّقه الله.

فقد تَعلَّم الصَّحابةُ هَذَا الوُضُوحَ، انْظُرُوا موقفَ أبي بكرٍ مَعَ المُرتدِّين، حَصَل ما حَصَل، فإذا بعُمَر له موقفٌ، فماذا كان موقفُ أبي بكرٍ؟ كان موقفًا واضحًا حيث قال: «واللهِ، لو منعوني عِقَالًا كانوا يُؤدونه لرسول الله لَقَاتَلْتُهم عليه»(١).

هَذَا الوُضُوحُ تأتي بَعْده المواقفُ والنَّتائجُ الحميدةُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٤) ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
والعِقَال: هو الحَبْل الذي تُشَدُّ به يدُ البعير مع ذراعه حتىٰ لا يَشْرد.

وعُمَر مواقفُهُ كثيرةٌ، ولكن مِمَّا يتداولُ: مَوْقفه مع صُبيغ، ومعروف ماذا صَنَع به؟!

ولَمَّا خَرَج الخوارجُ بَعْد ذلك أَتَوْا إلىٰ صُبيغ، فقالوا: الأمرُ قَدْ زَالَ!

فقال: أَدَّبني العبدُ الصَّالحُ[(١)].

---

(١) قال ابن قدامة في «ذم التأويل» (ص١٢): «وَلذَلِك لما بلغ عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَن صبيغًا يسْأَل عَن الْمُتَشَابه أَعَدَّ لَهُ عراجين النَّخل، فَبَيْنَمَا عُمرُ يخْطب، قَامَ فَسَأَلَهُ عَن: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾ [الذاريات:١]، وَمَا بعْدهَا، فَنزل عمر فَقَالَ: مَا اسْمك؟ قَالَ: أَنا عبدُ الله صبيغ. قَالَ عمر: وَأَنا عبدُ الله عُمرُ، اكشف رَأسَك! فَكَشَفَه، فَرَأىٰ عَلَيْهِ شَعْرًا، فَقَالَ لَهُ: لَو وَجَدْتُك مَحلوقًا لَضَرَبْت الَّذِي فِيهِ عَيْنَاك بِالسَّيْفِ، ثمَّ أَمر فَضُرب ضربًا شَدِيدا، وَبعث بِهِ إِلَىٰ الْبَصْرَة، وَأمرهمْ أَلَّا يُجَالسوه، فَكَانَ بهَا كالبعير الأَجْرَب لَا يَأْتِي مَجْلِسا إِلَّا قَالُوا: عَزمَة أَمِير الْمُؤمنِينَ! فَتَفَرَّقُوا عَنهُ، حَتَّىٰ تَابَ، وَحلف بِالله مَا بَقِي يجدُ مِمَّا كَانَ فِي نَفسه شَيْئًا، فَأذن عمرُ فِي مُجَالَسَته، فَلَمَّا خَرجت الْخَوَارِجُ، أُتِي فَقيل لَهُ: هَذَا وقتك! فَقَالَ: لَا، نَفَعتني مَوعظة العَبْدِ الصَّالحِ»، وأخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٧٥)، وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٦٠٩).

وموقفُ عُثْمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واضحٌ مَعَ الخَوَارِج لمَّا خَرَجوا(١).

وموقفُ علي بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

(١) أخرج ابنُ سَعْدٍ عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال لي عثمان وهو محصور في الدار: «ما ترىٰ فيما أشار به عليَّ المغيرة بن الأخنس؟ قال: قلت: ما أشار به عليك؟ قال: إنَّ هَؤلاء القوم يُريدون خَلعي؛ فإن خلعت تَرَكُوني، وإن لم أخلع قَتَلُوني. قال: قلت: أرأيتَ إنْ خلعت تُترك مُخَلَّدًا في الدنيا! قال: لا. قال: فهل يَملكون الجَنَّة والنَّار؟ قال: لا. قال: فقلتُ: أرأيت إن لم تخلع هل يَزيدون علىٰ قَتْلك؟ قال: لا. قلتُ: فَلَا أَرَىٰ أن تَسُنَّ هذه السُّنَّة في الإسلام، كُلَّما سَخِط قومٌ علىٰ أميرِهم خَلَعُوه، لا تَخْلَع قَمِيصًا قَمَّصَكَه اللهُ».

وعن أم يوسف بن مَاهِك عن أُمِّها قالت: «كانوا يدخلون علىٰ عثمان، وهو محصور، فيقولون: انْزَعْ لَنَا! فيقول: لا أَنْزِع سِرْبَالًا سَرْبَلَنِيه الله، ولكن أَنْزِع عَمَّا تَكْرَهُون».

وعن عبد الرحمن بن جُبَير قال: قال رسولُ الله ﷺ لِعُثْمان: «إِنِ اللهُ كَسَاك يومًا سِرْبَالًا، فَإِنْ أَرَادَك المُنَافقون عَلىٰ خَلْعِه فلا تَخْلَعه لِظَالِمٍ».

وعن مُجاهدٍ قال: «أَشْرَف عُثْمانُ علىٰ الَّذِين حَاصَرُوه، فقال: يا قَوْم لا تَقْتُلُوني، فَإِنِّي وَال وأَخٌ مُسلم، فوالله إن أَرَدْتُ إِلَّا الإِصْلَاح مَا اسْتَطَعْتُ؛ أَصَبْتُ، أو أَخْطَأْتُ، وَإِنَّكم إن تَقْتُلوني لا تُصَلوا جَميعًا أبدًا، ولا تغفروا جميعًا أبدًا، ولا يُقْسم فَيْؤُكم بينكم! ثم قال: اللهم أَحْصِهم عددًا، واقْتُلهم بَدَدًا، ولا تُبْقِ منهم أحدًا». «الطبقات» (٣/ ٦٦- ٦٨).

وكَذَلِكَ موقف عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واضحٌ جليٌّ عِنْدما أتىٰ أصحاب الحِلَقِ، وهو مواقفُهُ كثيرةٌ، وله آثارٌ جميلةٌ جدًّا.

ولَوْ يَلْتفتُ لهَذَا بعضُ طُلَّاب العِلْمِ ويَجْمعون بعضَ الآثارِ الَّتي أَتت عن ابْنِ مسعودٍ في مواقِفِهِ الأثريَّة السُّنيَّة في مُوَاجهةِ أَهْل البِدَع، ووُضُوحه في طَرْحه؛ فهي مَنهجيَّةٌ نَبويَّةٌ

=

(١) أخرج مسلم (١٠٦٦) عن زَيد بن وَهْب الجُهني أنَّه كان في الجيش الذين كانوا مع عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِين سَاروا إلىٰ الخَوَارج، فقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أيُّها النَّاس، إنِّي سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يَخرجُ قَوْمٌ مِن أُمَّتِي يَقْرؤون القُرآنَ، لَيس قِرَاءتُكم إلَىٰ قِرَاءتهم بِشَيء، وَلَا صَلَاتُكم إلَىٰ صَلَاتِهم بشيء، ولَا صِيَامُكم إلىٰ صيامِهم بشيء، يَقرؤون القُرآنَ يَحسبون أنَّه لَهم وهو عَليهم، لا تُجَاوز صلاتُهم تَرَاقِيهم، يَمْرُقون مِن الإسلامِ كَمَا يَمْرُق السَّهْم من الرَّمِيَّة**»، لو يَعلم الجيشُ الذين يُصِيبونهم، ما قُضِي لهم علىٰ لِسَان نَبِيِّهم ﷺ، لاتَّكَلُوا عَن العَمل، وآيةُ ذلك: أنَّ فيهم رَجُلا له عَضُدٌ، ولَيس له ذِرَاعٌ، علىٰ رأسِ عَضُده مِثل حَلَمَة الثَّدْي، عليه شَعرات بِيض، فتذهبون إلىٰ مُعَاوية وأهلِ الشَّام، وتَتركون هؤلاء يَخْلُفونكم في ذَرَارِيكم وأموالكم، والله، إنِّي لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم؛ فإنَّهم قد سَفَكُوا الدَّمَ الحَرَام، وأَغَارُوا في سَرْحِ النَّاس، فَسِيروا علىٰ اسمِ الله...» الحديث.

مباركةٌ واضحةٌ جليَّةٌ؛ لأنَّه كان إذا رَأَىٰ بِدعةً جَابَهها في نَفْس الوقت، وردَّ علىٰ صاحبِها؛ ومِنْ ذَلِكَ ما حَصَل مع أَصْحابِ الحِلَقِ، فلمَّا أَتاهَا أَبُو مُوسَىٰ الأشعريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في الكوفة، قال لابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَمَا إنِّي قَدْ رأيتُ أمرًا أنكرتُهُ، وما رأيتُ إلَّا خيرًا».

فقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَمَا ذَاكَ؟!».

قال أبو موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «رأيتُ في المَسْجِد قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا ينتظرون الصَّلاة، في كل حَلَقَةٍ رجلٌ، وفي أيديهم حَصًىٰ، فيقول: كَبِّرُوا مِئَةً؛ فيُكَبِّرون مِئَةً، فيقول: هَلِّلُوا مِئَةً؛ فيُهَلِّلُون مِئَةً، ويقولُ: سَبِّحُوا مِئَةً، فَيُسَبِّحُونَ مِئَةً».

فقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فماذا قُلْتَ لهم؟».

قال أبو موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما قُلتُ لهم شيئًا انتظار رأيك، أو انتظار أمرك».

فقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَفَلَا أَمَرْتَهم أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهم، وَضَمِنْتَ لهم ألَّا يَضِيع مِن حَسَناتهم؟!».

انظُرُوا هَذَا الطَّرح مع مَنْ؟ مع خَاصَّته، هو نفس الطَّرْح طَرَحه مع مَنْ؟ مع القَوَم، لَيْس له كلامٌ معه، وكلامٌ معهم، لمَّا أَتاهم، قَالَ: «أَفَلَا أَمَرْتَهم أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهم، وَضَمِنْتَ لهم أَلَّا يَضِيع مِن حَسَناتهم؟!»، نفس العبارة، عِبَاراتُهم هِيَ نفسُ العِبَاراتِ، أَحْكامُهم هي نفسُ الأَحْكامِ، وهَذَا يَجْعلني أتأمَّل فيما أَتَتْ به هيئة كبار العلماء في مسألة المظاهرات، وهو حكمٌ عامٌّ لجميعِ بلاد الدُّنيا، ثمَّ يأتي أصحابُ التَّلوُّن، ويَقُولُون: لا، في بلادٍ لا تَجُوز، وفي بلادٍ تجوز!

تَلوُّنٌ في الأَحْكامِ، هَذَا الفرقُ بَيْن الوُضُوح وعَدَمه.

ففي قول أَبِي مُوسَى لابْنِ مَسْعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إنِّي رأيتُ أمرًا أنكرتُهُ، وما رأيتُ إلَّا خيرًا؛ ما الأمرُ الَّذي أَنْكرَه، وما الخيرُ؟ قال: «إنِّي رأيتُ أمرًا أنكرتُهُ، وما رأيتُ إلَّا خيرًا»: خير من حيث أصل الاجتماع، والإِنْكار من حَيْث صِفَةِ الاجْتِمَاعِ، فرُبَّما يكونُ عِنْدَ صاحبِ الباطلِ أصل، لَكِنْ عَلَىٰ غَيْر الصِّفة المَشْروعة، فيأتي شخصٌ، ويقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا

مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [فصلت:٣٣]، ويقول: أنا أَدْعُو إلىٰ الله!

نعم، أَنْتَ تَدْعو، ولكن دَعْوتك هذه دعوةٌ بِدْعيَّةٌ، ما هي بدعوةٍ سُنيَّةٍ، دَعْوتُكَ ما هي بسُنيَّةٍ؛ دَعْوتُك إمَّا ياساويَّة، أو بَنَّاوِيَّة، أو سُروريَّة، أو ما وَقَعوا فيه الآن ممَّا أَفْسَدوا به الشَّبَاب حتَّىٰ أَضلُّوا كثيرًا، وحَرَفُوهم عن مِنْهَاجِ النُّبوَّة، بمَاذَا؟ بدَعْوىٰ أنَّ هَذَا ما يُوافِق لُغَةَ العَصْر، فوَقَعوا تَحْتَ ضغطِ الوَاقِع بمَا يُسمُّونه بـ«فقه الواقع»، دعوتُهُ واضحةٌ.

فيَقُول ابْنُ مَسْعودٍ لأَصْحابِ الحِلَقِ: «مَا هَذَا الَّذي أَرَاكم تَصْنَعُون؟!».

قَالُوا: يا أَبَا عبد الرَّحمن، حَصًىٰ نَعُدُّ به التَّكبير والتَّهْليل والتَّسْبيح.

فلمَّا قالوا هَذَا، هو يعرف الذِّكْر، ويَعْرف الأصل في الاجتماع، لكن علىٰ خلافِ هَذَا الوَصْف، وهُمْ يَقُولون: كَبِّروا مِئةً، وعِنْدهم حَصىٰ، فقال ابْنُ مَسْعودٍ: «واللهِ، لأَنْتُمْ عَلَىٰ مِلَّةٍ أَهْدىٰ من مِلَّةِ رسولِ الله، أو لأَنْتُمْ مُفْتَتِحُو باب

ضلالةٍ»[١]، لَيْس هناك احتمالٌ ثالثٌ، هَذَا هو الوُضُوحُ، لَيْس هناك ألوانٌ رَماديَّةٌ، إمَّا سُنَّةٌ وإمَّا بدعةٌ، إمَّا توحيدٌ وإما شركٌ، إمَّا طاعةٌ وإمَّا معصيةٌ، إمَّا استقامةٌ وإمَّا انحرافٌ.

وليس كما يفعلُ البعض يأتي ويَقُول: أُرِيدُها علىٰ مِنْهاج النُّبوَّة، وبوجهةٍ أُخْرىٰ يقول: نُرِيد أَنْ نجعلَ بعضَ الضَّلالات حسنة!

ولا يُمْكن أن تكونَ الضَّلالةُ حسنةً؛ لقول النَّبيِّ ﷺ: «**كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**»[٢].

فإذا قال شخصٌ: هذِهِ بدعةٌ لَيْست ضلالةً!

نقول له: كلُّ البدع ضلالاتٌ، وكلُّ ضلالةٍ من حَيْث الحُكْم في النَّار، فَانْتبِه يا عبدَ الله!

فقال لهم ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هذِهِ آنيةُ رسولِ الله لَمْ تُكْسَر،

---

(١) أخرجه الدارمي (٢١٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٠٥).

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهذِهِ ثيابُهُ لَمْ تَبْل»، وهذا دليلُ قُرْب عَهْد النُّبوَّة، وهؤلاء صحابتُهُ مُتَوافرون؛ إذ الكِتَابُ والسُّنَّة علىٰ هَدْي مَنْ؟ علىٰ هَدْي الصَّحَابة ومَنْ تَبِعهم بإحسانٍ، مَنْ تَبِعهم بإِحْسانٍ مِنَ المُهَاجرين والأَنْصار من السَّابقين الأَوَّلين، ومَنْ تَبِعهم بإحسانٍ، رضي الله عَنْهم ورَضُوا عنه؛ هؤلاء مُزَكىٰ طَرِيقُهُم.

وَلِذَلِكَ لمَّا ذكر النَّبيُّ ﷺ حالَ أهلِ الضَّلال وأهلِ الانْحِرافِ ماذا قال فيهم؟

قال هذه المقولةَ العظيمةَ الَّتي تُبيِّن لكلِّ منحرفٍ عن السُّنَّة النَّبويَّة أنَّه ضالٌّ عَنْها، فماذا قال؟ قال: «**تَفْترق هذِهِ الأُمَّة علىٰ ثلاثٍ وسبعين فرقةً، كلُّها في النَّار**»، فمَا سأل الصَّحَابة عَنِ المُنْحرِفين الضَّالِّين الَّذين قَدْ خَرَجوا عن الجادَّة، بَلْ قَالُوا: مَنْ هي يا رسول الله؟ أَرَادُوا مَعْرفة الحقِّ واتِّباعه، قال: «**مَنْ كان علىٰ مِثْل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[1].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ١٣٧) (٤٨٨٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه بنحوه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١٨) (٤٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

هنا التَّميُّز، هنا الوُضُوحُ، «**ما كَانَ علىٰ مثل أنا ما عليه اليوم**»، أيُّ يوم؟ أي: إسلام ذلك اليوم؛ أمَّا «إسلام اليوم» ففيه فِرَقٌ وبدعٌ وضلالاتٌ، فإسلام ذلك اليوم فيه الوُضُوح والدَّعْوة الواضحة لِمَا كان عليه مُحمَّد وأصحابه.

فَانْظُرْ لنَفْسك، وانْظُرْ لعَقِيدَتِك، وانظر لعِبَادَتِك، وانظر لأَخْلاقِك، وانْظُرْ لمُعَاملتِك، وانْظُرْ لسُلُوكِك، هكذا الوُضُوحُ؛ الوُضُوحُ مَطْلبٌ مع نَفْسك، مع ربِّك، مع أَهْلِك، مع زَوْجك، مع النَّاس في تَعامُلَاتك، ولِذَلِكَ لَمْ يتعبوا؛ لأنَّ المُخَالفَ يَعْرفهم، وأمَّا غَيْرهم أَصْبَحوا مَطيَّةً، لرُبَّما رُكِبُوا لقضاءِ بَعْض المآرب؛ لأنَّهم لَيْسوا وَاضِحِين.

ولَوْ أَتىٰ المُخَالفُ مَجْلسًا فيه صاحب المنهج الحق لخاف أن يطرحه طَرْحًا وَاضحًا لا يهاب فيه أحدًا، لماذا؟ لأنَّ الحقَّ له هيبةٌ؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ: «**وَجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغارُ علىٰ**

مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»[(١)].

ومَفْهوم المُخَالفة لِذَلِكَ: والعزُّ والتَّمكينُ لمَنْ وَافَق أمري.

فتجده كَذَلِكَ في طَرْحه، وعِنْدما ينصرفُ تجد منه ما تجد، إيَّاك والجليس، فبَعْضهم غير أنيسٍ، لرُبَّما يَقْضي مآرب، ويفعل ما يفعل؛ ولِذَلِكَ تأتي الفتنُ، وتأتي الأحداثُ، فيزلُّ فيها الأحداثُ، ويَثْبتُ فيها الأثباتُ، فيدعون النَّاس إلىٰ مَا عليه الشَّرْع، لا إلىٰ لُغَة الشَّوارع، يَدْعون النَّاس إلىٰ شَرْع الله.

وأمَّا الشَّوارع فقَدْ حَصَل فيها ما سمعتم الآن في العَالَمِ الإسلاميِّ!

وعجيبٌ تلك الشِّعارات الَّتي تُردَّد!

---

(١) أخرجه البخاري مُعلَّقًا، باب: (ما قيل في الرماح) (٤/ ٤٠)، وأحمد في «مسنده» (٩/ ١٢٣) (٥١١٤) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في «صحيح وضعيف الجامع» (٥١٤٢).

لَمْ تسمع غضبةً لله، ولا لأمر الله، ولا لتَوْحيد الله، ولا لإقامتِهِ.

وإنَّما بكاءٌ علىٰ ما يُسمُّونه باللِّيبراليَّة والعلمانيَّة والدِّيمقراطيَّة، وزَعَموا الحرِّيَّة!

ولِذَلِكَ هذِهِ دعواتٌ لا وُضُوحَ فيها.

إِنَّ شأنَ الوُضُوحِ مُهِمٌّ جدًّا، فهو يُسهِّل انْتِشار الدَّعْوة.

ثمَّ الوُضُوحُ لا يجعلُ المُخَالفَ يَخْتلط بهَذَا الطَّرح؛ لأنَّه يعلم أنَّه ليس نفسه؛ فلَوْ أتيت إلىٰ ذَلِكَ الرَّافضي، فقل: هل أنت سُنِّيٌّ؟ لقال: لا، ولَوْ أتيت إلىٰ البِدعيِّ، فقُلْ: هل أَنْتَ سلفيٌّ؟ لَقَالَ: لا، لا يستطيعُ أَنْ يَنْتمي للحقِّ.

وإذا قلنا: «السَّلفيَّة»، نعني: الإسلام، نعني ما عليه النَّبيُّ ﷺ، وَأَبُو بكرٍ وعمر وعثمان وعلي، هَؤُلاء صحابَة رسول الله رضي الله عنهم وأرضاهم، ومَنِ اتَّبعَهم بإحسانٍ من أَئمَّة الإِسْلام إلىٰ يَوْم النَّاس هَذَا، هَذَا الَّذي نَقْصدُهُ.

هو الإسلام بشُمُولِهِ ووُضُوحِهِ في كلِّ شيءٍ، دَعْوتُهم واضحةٌ بيضاءُ نَقيَّةٌ كَمَا قالَ النَّبيُّ ﷺ: «**قَدْ تَرَكْتُكم عَلَىٰ البَيْضَاء، لَيْلها كَنَهارها، لا يَزيغ عنها بعدي إلَّا هَالكٌ**»(١).

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٣)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٤) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٣٧).

السلامة في الثباتَ على مِنهاجِ النُّبوَّة الواضح

فالثَّباتَ الثَّباتَ على مِنْهاجِ النُّبوَّة، فهو عُنْوان السَّلَامة، الثَّباتَ الثَّباتَ والاستقامة، وإيَّاك والتَّلوُّن في الدِّين، فهذِهِ هي وَصِيَّةُ النَّبيِّ ﷺ.

ولِذَلِكَ مِن جميلِ عباراتِ حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه دخلَ عليه أبو مسعود فقال له: اعهد إليَّ! فقال له: ألم يأتك اليقين؟! قال: بلىٰ، وعزة ربي. قال: «فاعْلَمْ أَنَّ الضَّلالة حَق الضَّلالةِ: أنْ تَعْرِف ما كُنْتَ تُنْكر، وأَنْ تُنْكر مَا كُنْتَ تَعْرِف، وإيَّاكَ والتَّلوُّنَ؛ فإنَّ دِينَ الله واحدٌ»(١).

إذا وَجَدْت أنَّك أصبحتَ تَعْرِفُ أشياء كُنْت تُنْكرها ولَا

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ٢٤٩) (٢٠٤٥٤)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٦).

تَرْضَاها، ليس لأنَّها مسائل قَدِ اتَّضحَتْ لَكَ الأدلَّة فيها، وإنَّما لهوىٰ في نفسِكَ، مِلْت مَعَه في إِحْدىٰ المُغْريات الثَّلاث الَّتي عُرِضَتْ علىٰ النَّبيِّ ﷺ من قريش: إمَّا في جَانِبِ الحُكْم والسِّياسات، أَوْ في جانبِ الأَمْوالِ، أو في جَانِبِ النِّساءِ.

انْتَبِهْ! فلرُبَّما قَصَمَتْ ظَهْر داعيةٍ، فتَغيَّر من ذَلِكَ الوُضُوح إلىٰ الغُمُوض، فوجدتَه يَلْتفت يمنةً ويسرةً لأَصْحابِ هذِهِ الأَشْياءِ، فما تجده في محافل أهل السُّنَّة ولا في مُلتقياتها؛ إنما تَجِدُه مع كل صاحب هَوىٰ؛ لأنَّه تَركَ الهُدَىٰ، ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٤﴾﴾ [محمد:١٤].

ولِذَلِكَ الْزَمِ الحقَّ، فمَا أكثرَ مَنْ يَسْتشهدُ بالقرآن وهُمْ يَتْركون السُّنَّة، يَسْتشهدون بِذَلِكَ ليَسْتدلُّوا علىٰ ما هم عليه من باطلٍ، والسُّنَّة مُبيِّنةٌ للقرآن، ومُوضِّحةٌ لما فيه، ومُبيِّنةٌ لأحكامِهِ، فالحقُّ واضحٌ، بَل ما مِنْ صاحبِ باطلٍ يَتلَاعب بالأدلَّة، ويحتجُّ بها إلَّا وكانت حُجَّةً عليه.

ومن جميل عبارات شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّه كان يقولُ كلمةً عظيمةً، يقول: «ما احتجَّ صاحبُ بدعةٍ من الكتابِ والسُّنَّة إلَّا وُجِعَلتْ حُجَّةً عليه لا حُجَّةً له».

ولَوْ تَأمَّلتَ في هَذَا القولِ، لوجدت غاية الصَّوَاب في هذِهِ العبارةِ، لماذا؟ لأنَّ الحقَّ لا يحتجُّ به في الباطل ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء:٨١].

لا يُمْكن أن يحتجَّ بصاحبِ اسْتِدْلالٍ على باطلٍ، فإذا أتىٰ النُّورُ، تَجلَّتِ الظُّلَمُ، تَجلَّتِ الظُّلَمُ، وهَكَذا وُضُوحُ الحقِّ، إنَّ الشَّمعة لتُرَىٰ من بُعْدٍ لِمَا فيها من ضوءٍ ونورٍ، ووُضُوحٍ وضياءٍ، فهي واضحةٌ مَهْما اشتدَّ الظَّلامُ.

اثْبُتْ أيُّها السُّنيُّ، اثْبُتْ على الحقِّ، فهَذَا الوُضُوحُ ابتلاءٌ، وإيَّاك والتَّلوُّن! إيَّاك وكَثْرة الوُجُوه! فوُضُوحك يختصرُ الطَّريقَ علىٰ المُتلقِّي فيستفيد؛ لأنَّه وَجَد لغةً واضحةً، لغةً صادقةً.

وعامَّةُ أَصْحابِ البدعِ أهلُ تَلوُّنٍ، لَيْسوا أَهْلَ وُضُوحٍ، يُخْفُونَ

طَرْحهم، يُخْفون كُتُبهم، يُخْفون عَقَائِدهم، يُخْفون أُمُورَهم، لا يَسْتطيعون أن يُظْهروها.

أمَّا صاحبُ الحقِّ فواضحٌ في عقيدتِهِ، واضحٌ في عبادتِهِ، واضحٌ في مِنْهاجِهِ، واضحٌ في كلماتِهِ، واضحٌ في مَكْتوباتِهِ، واضحٌ في مجالسِهِ، واضحٌ في مُخَالطتِهِ للنَّاس، هكَذا كان نَبيُّنا ﷺ، ولِذَلِكَ ليسَ هناك صاحبُ عناءٍ يأتي إلىٰ المُصْطفىٰ ﷺ ويَرْجع من عنده إلَّا وقَدْ تَغيَّر الوجهُ الَّذي أتىٰ به، فاستجابَ للحقِّ من لقاءٍ واحدٍ، ومن مجلسٍ واحدٍ.

وأصحابُ الباطلِ لرُبَّما جَلَس الواحد معهم مجالسَ كثيرةً، ولَمْ يَعْلم ماذا يريدُون؟!

فدَعْ عنك أهل التَّلوُّن؛ وكما يُقَال بعباراتِ العصر: إنَّ الشَّفافيةَ مطلوبةٌ، وبمُقَابل الشَّفافية: «الضَّبابيَّة» الَّتي أصبحت فِقْهًا جديدًا يُمَارس بتمريرِ الأُمُورِ، لِماذَا؟ مُرَاعاةً لمصالح شخصيَّة، وأُمُور نفسيَّة، وقَضَايا اجتماعيَّة.

فما عَلم مَن يَفعل ذلك أنَّه إذا قال الحقَّ أيَّده الله؛ قال

تعالىٰ: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [البقرة:١٣٧].

أسألُ اللهَ الكريمَ، ربَّ العرشِ العظيمِ بأسمائِهِ الحُسْنىٰ، وبصفاتِهِ العُلَىٰ أن يُوفِّق الجميعَ للعِلْمِ النَّافعِ، وللعملِ الصَّالحِ، وصلَّىٰ الله وَسلَّم وبارك علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

كلمة الشيخ صالح بن سعد السحيمي حفظه الله

الحَمْدُ لله ربِّ العَالَمين، وصلَّىٰ الله وَسلَّم وبارك علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ أجمعين.

أمَّا بعد:

فأسأل الله -تبارك وتعالىٰ- بأسمائِهِ الحُسْنىٰ، وبصفاتِهِ العلىٰ أَنْ نكونَ مِمَّنْ شَمِلهم اللهُ بِمَا يَنْطبقُ عليه قولُ النَّبيِّ ﷺ: «**مَا اجْتمَعَ قومٌ في بيتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلونَ كتابَ الله، ويَتدَارَسونَه فِيمَا بَيْنهم، إلَّا غَشِيتْهُم الرَّحمةُ، وحَفَّتهُمُ المَلَائكةُ، ونَزلَتْ عَلَيْهم السَّكينةُ، وذَكَرهم اللهُ فيمَنْ عِنْدَهُ**»(١).

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أيُّها الإخوة:

لقَدْ طَوَّف بِنَا أَخِي فَضِيلة الشَّيخ مُحمَّد بن رامز الهاجري -الدَّاعية المَعْروف وَفَّقه الله تعالىٰ- في هَذَا المَوْضوع الهَامِّ، ألَا وهو: «وُضُوحُ المَنْهج وأثرُهُ في انْتِشَارِ الدَّعْوة إلىٰ الله ﷻ» بعيدًا عن المَناهِج الخَفيَّة الَّتي يُدِيرُها أَهْلُها في الدَّهاليز، ويَرْسمون لها الخُطط في الظُّلُماتِ والوِهَادِ والأَوْديةِ بعيدًا عن الأَنْظارِ.

إنَّ الدَّعْوةَ الإسلاميَّة دعوةٌ واضحةٌ، لَيْس فيها خفاءٌ، يَعْرف ذلك كلُّ مَنْ كان له لُبٌّ يُفرِّق به بَيْن الأشياءِ، لَكِنْ ذَلِكَ قَدْ يَخْفىٰ علىٰ ضِعَافِ البَصِيرةِ، وقَدْ يَخْفىٰ علىٰ مَنْ لم يُؤسِّس دَعْوتَه عَلَىٰ مَنْهجِ النُّبوَّة، وتَخْفىٰ علىٰ مَنْ لم يَعْتمد الأُصُولَ: (الكتاب، والسُّنَّة، والإجماع، أقوال الصَّحَابة)، يَخْفىٰ ذلك علىٰ مَنْ يَتخيَّر في الدَّعْوة الإسلاميَّة! فيأخذ ما يَشَاء، ويَتْرك ما يَشَاء، بل رُبَّما تَرَكَتْ (بعضُ الأحزاب وبعضُ الجَمعيَّات وبعض الجماعات) أَصْلَ الأُصُول، وحَذَّرت منه، أَلَا وهو:

تَوْحيدُ الله ﷻ بدَعْوىٰ أنَّ الدَّعْوةَ إلىٰ التَّوحيد يُفرِّق الأُمَّةَ!

حقًّا إنَّه يُفرِّق النَّاس إلى: فريق في الجنَّة، وفريق في السَّعير.

حقًّا إنَّه يُفرِّق النَّاس إلى فريقين:

فريق يَمْشي مع الاثنتين والسَّبعين فرقةً، من الفِرَق الَّتي كلها في النَّار.

وفريق مع الفِرْقة النَّاجية والطَّائفة المنصورة الَّتي قال فيها النَّبيُّ ﷺ: «**وهي الجماعة**»(١)، وقال: «**مَنْ كان علىٰ مِثْل ما أنا عليه اليوم وأَصْحَابِي**»(٢)، المُترسِّمين لخُطَىٰ النَّبيِّ ﷺ قولًا وعملًا واعتقادًا، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب:٢١].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح ابن ماجه» (٣٢٢٧).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥/ ١٣٧) (٤٨٨٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه بنحوه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢١٨) (٤٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

إنَّها الدَّعْوةُ الواضحةُ الجليَّةُ المُستمدَّة من كتابِ الله عَزَّوَجَلَّ، وسُنَّة رَسُولِهِ ﷺ، بعيدًا عن الإفْراطِ والتَّفْريطِ، وبعيدًا عن الغُلوِّ والتَّقْصيرِ .

أحدُ الدُّعَاةِ في المَمْلكةِ من عُلَمائِنَا الأَفَاضِل طَلَب منه بعضُ الشَّبابِ لِقَاءً من أَجْل أن يُذكِّرهم، فقالَ بعضُ الحاضرين: يا شيخ، هَذَا المكانُ يَرانَا فيه النَّاسُ، فهل بَحَثْنا عن مكانٍ بعيدٍ عن الأَنْظارِ؟!

يُرِيدُون أَنْ يَدْخُلوا أوديةً، أو وِهَادًا، أو كُهُوفًا يُدِيرُونَ منها الخُطَط.

فعَرَفهم الشَّيخُ وَفَّقه الله، فقال: نَعَمْ، عِنْدِي مكانٌ عظيمٌ لِمِثْل هذِهِ اللِّقاءات.

فأَخَذَهم، وذَهَب بِهِمْ إلىٰ المَسْجِدِ، إنَّه أَخُونا فضيلة الشَّيخ زيد بن هادي المَدْخَلي، وَفَّقه الله.

فيا إِخْوةَ الإِسْلامِ:

خُذُوها قاعدةً واضحةً كما بَيَّن أخونا وَفَّقه الله:

كلُّ دَعْوةٍ أَهْلُها يَتخفَّونَ عَنِ الأَنْظارِ لَيْست دعوةً إِسْلاميَّةً حقيقيَّةً، لَيْسَتْ دعوةً عَلَىٰ مَنْهج النُّبوَّة، لَيْست دعوةً علىٰ المَنْهج الحقِّ.

يُخطَّط فيها للبِدعِ والخُرَافات والخُزَعْبَلات.

يُخطَّط فيها لتَأْسِيس مَذْهبِ الخَوَارجِ.

يُخطَّط فيها لتَأْسِيس المَذَاهبِ الفَاسِدة الَّتي يُروِّج لها طلابُ المناصب، ويُروِّجُ لها كثيرٌ مِمَّنْ عَمِيَتْ قُلُوبُهم وأَبْصارُهُمْ عَنِ الهَدْي النَّبويِّ القويم الَّذي كان عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابُهُ.

يَقُولُ عُمر بْنُ عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا رَأيتُمُ القومَ يَتناجَوْن في أُمُورِهم دُونَ العَامَّة، فاعْلَمْ أنَّهم علىٰ تَأسيس ضلالةٍ»[(١)].

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٣٨).

لقَدْ عَلَّمنا أشياخُنا الأفاضلُ، وعُلَماؤُنا الكرامُ تِلْك الدَّعْوة الوَاضِحَة المُستمدَّة من هُدَىٰ النَّبيِّ ﷺ، المَبنيَّة علىٰ هُدَىٰ الكتابِ والسُّنَّة، البعيدة عن الإفْرَاطِ والتَّفْريطِ.

أمَّا تلك الدَّعَوات الَّتي لا يُمْكنُ أن تُسْمعَ إلَّا عَبْر الكُهوف، أو عَبْر (الفِيس بُوك)، أو عَبْر بعضِ المَوَاقِع المُظْلمة، أو عَبْر المَوَاقِع وتِلْك، هذِهِ مواقعُ فاسدةٌ، ودُعَاتُها فاسدون، والمُسْتجيبون لَهُمْ فَاسِدُونَ، ومَنْ يَتأثَّر بها فاسدٌ.

خُذُوها قاعدةً، مَنْ يَتلقَّىٰ تلك الدَّعَوات الفاسدة فهو فاسد.

ولِذَلِكَ أقولُ لكم بكل وُضُوح -كَمَا أشار أخي- قَضيَّة المُظَاهرات الَّتي يَدْعو إليها الرَّعاعُ والسُّفَهاءُ، ومَرْضىٰ القُلُوبِ، والمَوْتُورُونَ، والمُسْتأجَرُونَ من قِبَل الصُّهيونيَّة العالميَّة، تِلْك الدَّعَوات انْظُروا مَنْ يَقِفُ وَرَاءها؟ يَقِفُ ورَاءَها سِتُّ فئاتٍ.

وفي الحقيقة: «لا عطر بعد عروس»، ولكن أخي هو الَّذي حفَّزني لأَطْرقَ هَذَا البابَ، فأقول:

وراءَ تِلْك الدَّعَوات: ستُّ فئاتٍ، وكلُّها تَشْتغلُ في الخَفاءِ، في الظُّلُماتِ، ففي سورة الأنعام: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢]، هَذَا يَنْطبقُ عَلَىٰ هَؤُلاءِ.

أقولُ: وَرَاءهم ستُّ فئاتٍ تَشْتغلُ في الظَّلامِ:

الفئة الأُولَى: الغَرْبُ علىٰ اخْتِلافِ دِيَاناتِهم ومِلَلِهم الفاسدةِ؛ هُمُ المُؤيِّدون لتِلْك الدَّعَواتِ الفاسدةِ الدَّاعيةِ إلىٰ إِسْقاطِ العُرُوشِ، ويَطْلبُ أَهْلُها المَناصِبَ.

الثَّانية: الرَّافضة؛ ولقَدْ شَنَّتْ حَمَلاتٍ عَبْر ما يُسمَّىٰ بـ: «قناة العالم» وغيرها، كلُّها -ولله الحمد- بَاءَتْ بالفشلِ في بِلَادِنا، وإِنْ كانت قَدْ نَجَحتْ في بَعْضِ البلادِ الَّذين عِنْدهم مَنْ يُوجِّههم.

الثَّالثة: الخَوَارِجُ؛ سواءٌ مِنْهُمُ المُخْتفون الَّذين يَدْعون في

الظَّلَام، والقَابِعُونَ في الكُهُوفِ، أم الخَوَارج القَعَدة الَّذين يُهيِّجون وهُمْ يَتسترون بَيْن النَّاس هنا وهناك، كَمَا دَعَا بَعْضُهم إلىٰ إِنْشاءِ مَلكيَّةٍ دُستوريَّةٍ، ونحو ذلك مِمَّا دَعَا إليه هَؤُلَاءِ الأَوْغادِ من مَرْضىٰ القُلُوبِ، ووَقَّعُوا عليه، وتَحَالف أُولَئِك الخَوَارج -الَّذين يَدَّعُونَ زَعَامةَ الصَّحْوة- جَنْبًا إلىٰ جَنْبٍ مَعَ اللِّيبراليَّة العَلمانيَّة.

وَهِيَ الفِئةُ الرَّابعةُ الَّتي أيَّدتْ هَذَا الأمرَ: اللِّيبراليَّة العلمانيَّة دُعَاة الإِلْحادِ.

والفئة الخامسة: طُلَّاب الكَرَاسي والمَنَاصِب؛ قالَ شيخُ الإسلام ابن تيمية: لَوْ تَأَمَّلْنا أصحابَ الخُرُوجِ دائمًا -يعني أصحابَ الثَّوَرات والثِّيران- يعني لو تَأَمَّلتهم، تَأَمَّلتَ مَنَاهِجَهم- لوَجَدْتَهم لا تَخْرج أَهْدافُهُم عن أَمْرينِ: إمَّا أن يَكُونُوا طُلَّابَ مالٍ، وإمَّا أن يَكُونُوا طُلَّابَ ماذا؟ حُكْمٍ ومَنْصبٍ.

أبدًا لا يَخْرجون عن هَذَا، وأمَّا الَّذين يُطَبِّلُون خَلْفَهم؛ فمِنْهُمُ

المَغْرورُ، ومِنْهُمُ الجَاهلُ، ومِنْهُمُ السَّفيهُ، ومِنْهُمُ مَنْ يَصْطادُ في الماءِ العَكِرِ.

وَالفِئَةُ السَّادسة: المُرْتزقةُ، ومَنْ يَصْطادُ في الماءِ العَكِرِ، ولكنَّهم -ولله الحمد- فَشِلُوا وسيَفْشَلُونَ، وتَحطَّمتْ جميعُ مُخطَّطاتِهم علىٰ هذِهِ الصَّخْرةِ الصُّلبةِ في هذِهِ البلادِ الَّتي قَامَتْ علىٰ تَوْحيدِ الله، والَّتي قَامَتْ علىٰ هَدْي النُّبوَّة، والَّتي قَامَتْ علىٰ نَشْر التَّوْحيدِ الخَالِصِ الصَّافِي من كلِّ كدرٍ.

فلَقَدْ أَجْلَبوا بخَيْلِهِمْ ورَجِلِهِمْ، وقَنوَاتِهم و(فيسبوكهم)، وكافَّة سُبُلِهم الَّتي جَنَّدوها، وصُحُفهم ومَجلَّاتهم، وجميع مَا أُوتوا من قُوَّةٍ، ودَعَوْا إلىٰ مُظَاهراتٍ في جُمُعةٍ مُعيَّنةٍ فِي بلدِ الإِسْلامِ، في بَلَدِ التَّوْحيدِ، في بَلَدِ المُقدَّسات، في بَلَدِ حِمَىٰ الإِسْلامِ، فرَدَّهم اللهُ علىٰ أَعْقابِهم خَاسِرينَ، ورَدَّهم اللهُ بِغَيْظِهم لَمْ ينالوا خيرًا، وبَاؤُوا علىٰ أَعْقابِهم خَاسِرينَ، وبَاؤوا بالخُسْران والخَيْبة، ولَمْ يَتحرَّك أحدٌ، ولم يَسْتجِبْ لَهُمْ أحدٌ فضلًا مِنَ الله ونعمةً، فنَحْمده -تبارك وتعالىٰ- وهو للحَمْد أهلٌ.

وقد نَشَرتْ جَرِيدةُ (وَاشُنْطن بُوست) الأمريكيَّة: أنَّ مُراسِلِيها انْتَشرُوا في كلِّ مكانٍ في المملكة يوم الجُمُعةِ ليُسجِّلوا ما دُعِيَ إليه من الَّذي باءَ بالفشل -ولله الحمد- يقولون: فتَوزَّعنا ووَزَّعنا المُسجِّلين بأَدَواتِهم وأَجْهزتِهم، فلَمْ يَجِدُوا إلَّا عكس ما تَصوَّروا، وَجَدوا أنَّ هَذَا الشَّعبَ المُبَارك، أنَّ هذِهِ الدَّولةَ المباركةَ، أنَّ هَذَا المجتمعَ المباركَ، يقفُ صخرةً صامدةً خلفَ قيادتِهِ، وخلفَ وُلَاةِ أَمْرِهِ، وخلفَ عُلَمائِهِ، لا تأخذُهُ في الله لومةُ لائمٍ، ولا تُزعْزعُهُ هذِهِ الأهواءُ، ولا تُؤثِّر فيه الأدواءُ.

وقَالُ مراسلو صَحِيفة أخرى: جِئْنا خمسة من دُبي لنُغطِّي تِلْك الأَحْداثَ الَّتي تَوقَّعناها، فسَكنَّا فُنْدق الخزامىٰ، فلَمْ نَزِدْ علىٰ أَنْ شَرِبْنا قهوةً في فندق الخزامىٰ، وعُدْنا أَدْراجَنا إلىٰ المَطَارِ، وذَهبْنَا إلىٰ دُبي.

فالحَمْدُ لله الَّذي خَيَّب آمالَهم، أنا لا أريد أن أَسْترسلَ، فأخي قَدْ وفَّىٰ المَوْضوعَ حَقَّه، ولكنَّ هَذَا الموضوعَ جديرٌ بأَنْ

يُتكلَّمَ فيه، وأخونا الشَّيخ -وَفَّقه الله- أعرف أنَّه أَعْطانا كثيرًا مِنَ المسائل نَظرًا لتَشعُّبِ المَوْضوعِ، وأَعْطانَا قَواعِدَ مُهمَّةً جدًّا يَنْبغي لنا أن نَترسَّمَها، وأَنْ نَسِيرَ عَليْهَا، وأَسْتميحه عُذْرًا في هَذَا الَّذي لا أُسمِّيه تعليقًا، وإنَّما هُوَ تَأْييدٌ وتأكيدٌ لِمَا تَفضَّل به.

أَسْألُ اللهَ الكريمَ ربَّ العرش العظيم بأسمائِهِ الحُسْنىٰ وبصفاتِهِ العُلىٰ أَنْ يُوفِّقَ الجميعَ للعِلْمِ النَّافعِ، وللعَمَلِ الصَّالحِ، وصَلَّىٰ الله وَسلَّم وبَارَك علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وأصحابِهِ أَجْمعين.

فهرس الموضوعات

مقدمة الناشر ٦

المقدمة..... ١٠

وضوح دعوة النَّبي ﷺ ١٥

سبب هلاك الهالكين..... ١٨

مميزات الوضوح في المنهج..... ٢٢

وضوح منهج النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم..... ٢٦

السلامة في الثَّباتَ على مِنْهاجِ النُّبوَّة الواضح..... ٤٣

كلمة الشيخ صالح بن سعد السحيمي حفظه الله ٤٨

فهرس الموضوعات ٦٠